

نظرة في الجزء الثاني*)

﴿ من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

٢

(الخطأ في النقل)

قد اخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين إما بتصريفه فيها تصرفاً أفسد معناها
وأما تحريف الكلم وأما نقلها عن نسخة تحرفة من غير تمحيص لها . فمن ذلك
(١) قوله في ترجمة سلم الخامس « هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو أحد موالي
أبي بكر الصديق »

فسالم الخامس هو (سلم) بفتح السين وسكون اللام . فمن أين جاء للمؤلف ان
يقال في اسمه سالم ايضاً وليس سلم مجهولاً حتى يشبهه في اسمه
منشأً هذا التحريف الذي وقع فيه المؤلف ان نسخة تاريخ ابن خلكان
المطبوعة كتب فيها سلم بالف توهماً من الناسخ الاصيل أن الالف محذوفة كما تحذف
في (القسم والحرك) فاقبتا وطبعت النسخة على هذه الصورة خطأ وفي نسخة
ابن خلكان هذه ذكر اسم (سلم) منظوماً في الشعر في قول أبي القتبية له

تعالى الله يا سلم بن عمرو اذل الحارث اعناق الرجال
ولم يكن لا لشك ان المؤلف قرأ ترجمة (سلم) في الاغانى وفيها وقع اسمه منظوماً
في غير موضع فمن ذلك قول أبي القتبية فيه

أما الفضل سلم وحده ليس فيه لسوي سلم درك

وأه فيه وقد حبس ابراهيم الموصلى

سلم يا سلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعش من

وقول أبي محمد اليزيدي فيه

(٥) بقلم الأستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندري

عق سلم امه صفرا و ابا سلم على كعبه

ومن هجاء أبي الشيمق في

(يا أم سلم هداك الله زورينا)

وقول مروان ابن ابي حفصة في

اسلم بن عمرو قد تعاطيت غاية تقصر عنها بعد طول غناكا

وقول أشجع السلمي يرثية

يا سلم ان أصبحت في حفرة موسدا ثوبا وأحجارا

فرب بيت حسن قلته خلفته في الناس سيارا

فهو عند هؤلاء الشعراء المعاصرين له اسمه (سلم) تحسب . ويجوز عند مؤلفنا تصحيح ابن خلكان أن يسمى (سالما) أيضا فليختر القارئ لنفسه ما يحلو

(٢) ومن خطئه في النقل قسمة اسم رجل واحد على مسبين

فذكر في ترجمة الصولي (ص ١٧٥) أن له كتابا اسمه الاوراق وهو في دار

الكتيب الخديوية، وذكر ممن ترجم له هذا الكتاب احمد بن يوسف بن صبيح فقال « واحمد بن يوسف وزير الامون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس

وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره »

والحقيقة ان الثاني هو عين الاول ومن يراجع الكتاب يعرف ذلك .

وهو احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح . ويتبين هذا ايضا من خلال كلام

مؤلفنا اذ ذكر احمد ثم ابن صبيح ثم قفي بذكر توقيعات احمد ووسائله وشعره .

فلو كان ابن صبيح غير احمد فما الداعي لفصل توقيعات احمد عن ترجمته

ولو فرضنا ان المؤلف يريد بان صبيح جده القاسم فذلك لم يكن كاتب دولة بني

العباس بل كان يكتب لبني امية وللمنصور في بدء خلافته ولم تطل ايامه ، وليس هناك

في الكتابة وانما ذكره الصولي مع من ذكره من آل احمد بن يوسف

(٣) ومن خطئه في النقل بتصرفه في عبارة المؤلفين قوله في ترجمة ابن الرومي

صفحة (١٥٨)

« اشتهر بالتوليد في الشعر لانه اتي بكثير من المعاني لم يسبق اليها : ومن مميزاته

انه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلا »

ومن عبارة المؤلفين في ذلك مقاله صاحب معاهد التنصيص

« هو ابو الحسن صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يفوح على

المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في احسن قالب وكان اذا اخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية «
وقال ابن خلكان

« صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يفوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبق في بقية «

فترى ان عبارة ابن خلكان اجود في تصوير الشاعر وعنه نقل صاحب مهاد التنصيص مع تفسير قليل

فراى مؤلفنا ان ينقل عنهما بتعبير آخر ولكن تغييره شذ عن مرادهما فهما يقصدان بقولهما « صاحب التوليد الغريب » انه اذا استنبط معنى من قرآن او حديث او حكمة او مثل او من كلام شاعر آخر أو اخترعه اختراعاً لا يزال يولد منه معاني متشاكلة بالزيادة عليه او القصر منه او بالقياس عليه فيستعمله في مدح ويقبله في هجو وزيينه في وصف حتى لا يدع لغيره وجها ايا كان يستعمله فيه بعد . وقد فسر المؤلفان غرضهما في عبارتهما بقولهما (يفوص على المعاني الخ)

فهم مؤلفنا من (التوليد) انه (يأتي بمان لم يسبق اليها) مع ان ابن الرومي كثيراً ما يقرب على قول غيره . وفهم من قولهما (وكان اذا اخذ المعنى الخ) انه يوضح المعنى ويمثله تمثيلاً . وما كان عليه لو نقل عبارة المؤلفين كما فعل في أكثر مواضع الكتاب (٤) ومن تقصير المؤلف في توضيح ما ينقله ما نقله عن السيوطي ناقلاً عن

كتاب العين ومختصر الزبيدي احصاء المستعمل من الالفاظ العربية والمهمل منها فاستخرج المؤلف من كلام الزبيدي جدولاً استنتج منه ان عدد المستعمل من الالفاظ اللغة العربية ٥٦٢٠ لفظاً ، مع ان كتاب القاموس وحده (وهو ليس الاقطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل على ستين الف مادة متوسطة مافي كل منها من المزيد والمشارك عشرون كلمة على الاقل أي نحو مائتي الف واثم الف كلمة فكيف ولسان العرب به ثمانون الف مادة متوسطة مافي كل منها ثلاثون كلمة على الاقل

والمؤلف نقل عبارة الزبيدي عن المزهري للسيوطي وهي فيه مختلة أيضاً اسقط منها النسخ كلمة (الف) المكررة في عدد المهمل والمستعمل فصار فيها الف الالف (أي المليون) الفا فقط ، ويعرف هذا بمراجعة مقدمة شارح القاموس فانه نقل عبارة الزبيدي أيضاً وفيها مكان الالف في بيان المهمل والمستعمل (الف الف) وان وجد

§ المتنبى وكافور . عدم تحري الصواب في النقل (المارج ١ م ١٦)

بها بعض تحريف أيضاً فكان جديراً بالمؤلف أن يزن المبالغة بميزان عقله ويمدحها إذا شاء كما عدل الأرقام التي ذكرها المزهر لتصح له عملية الجمع

(٥) ومن تحريف المؤلف بنقل عبارة المؤلفين ناقصة ما نقله في ترجمة المتنبى في قوله « حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خزان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ، فلما رأى كافور منه سموه بنفسه ونماليه بشعره خافه وقال « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلم) الا يدعي الملك مع كافور فحسبكم » فانغضبه فخرج ابو الطيب من مصر »

والتأمل في هذه العبارة يجردان قول كافور « يا قوم الخ » مقتضب عما قبله بل هو تمة لسكلام محذوف ، وهو الواقع فان كافورا كان وعده بولاية بعض اعماله وطمع المتنبى في ذلك واستعجزه وعده في شعره مراراً وهو يتأمله ، فمات به بعض كبار الدولة في مطاله عن ابلاغه امنيته على كثرة مدحه له وهجرته اليه فاضبا لسيف الدولة فقال كافور « يا قوم الخ »

(عدم تحري الحقيقة والصواب)

اعتاد المؤلف أن ينقل الى كتبه ما يعتقد بهذاته أو ما يكون ذائماً على السنة عامة القراء والوراثين ، أو يقرؤه في الكتب التي تلقي الاخبار على عواهنها ، من غير تمحيص لحقيقتها ، حرصاً على افادة القراء وأحفابهم بالغرائب ، وهو اجتهاد يشكر عليه لولا ما يشوه بهذه الاخبار محاسن كتبه من حيث لا يقصد . وربما يلتمس له في ذلك عذر وهو تسرعته في تأليف الكتب تسجيلاً لفائدتها ، وان التحري والبحث والتحقيق والتدقيق كلها تستدعي أزماناً طويلة ومراجعة لكثير من الكتب ، ومساهلة لجمهور الادباء ، وهو ما يضيق دونه وقته الثمين ، وعامة القراء يرضيهم ما دون ذلك والمستفيد يتوخى أربح الطريقين (ولكل وجهة هو موليها)

ولكن الرأي الذي نراه انه ينبغي السك من تعرض لتدوين التاريخ في السياسة أو الادب ألا يكتبني برواية كتاب واحد أو كتابين وبما يذيع على السنة الناس ، بل يجب عليه تحقيق الخبر وتمحيصه والاخذ بالرواية القريبة من العقل ، واللائقة بمنزلة من روي عنهم

ويوجد في هذا الكتاب كثير من الاخبار التي اغتر المؤلف بنقلها من الكتب

ولم يحصيها ، فمن بعض ذلك :

(١) نقله عبارة ابن خلكان التي نقلها مثل المؤلف كثير من الناقلين من أن الأمين جمع بين سيويه والكسائي في جلسة ل المناظرة وان الكسائي زعم أن العرب تقول « كنت أظن الزبور أشد لسا من النحلة فاذا هو اياها » وان سيويه قال ان المثل « فاذا هو هي » وان الامين تعصب لاستاذه الكسائي وأوعز سرا الى أعرابي حكموه في المسألة أن يصوب الكسائي ويخطئ سيويه .

مع ان المسألة شهورة في كتب الأدب والتاريخ والنحو من أن المناظرة جرت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي وان الكسائي كان مجز الوجهين (أي فاذا هو هي - و - فاذا هو اياها) وان اعرابا عدة معروفين بينهم واسماهم شهدوا بجواز الأعراب وان الغلبة كانت على سيويه في هذا المقام وليس في العلم كبير . وهذا ما يليق بمقام الكسائي والأمين وثقات رواة الأعراب . والقصة مبسطة بالتفصيل في معجم الأدباء لياقوت ص ١٩١ ج ٥ في ترجمة الكسائي وفي ص ٨١ ج ٦ ولم يكمل طبعة ولكن ما طبع اطلعت عليه وفيه ترجمة سيويه وفي ص ٣٦٦ من (بقية الوعاة في طبقات النحاة) وفي مبحث (اذا) من الجزء الاول من مقني اللبيب لابن هشام وفي غيرها من الكتب غير المطبوعة وفي اكثرها إعراب الوجه الثاني من الوجهين اللذين يجوزهما الكسائي ، وان البصر بين أنفسهم لا ينكرون صحة شهادة الاعراب الثقات وانما يطعنون فيهم بانهم من أعراب الحطمة أي انهم ليسوا فصحاء . ولولا طول هذه القصة لأوردتها من كثير من الكتب التي تخالف ابن خلكان في النقل وربما اطلع عليها المؤلف ولكنه آثر روايته إما لقرايتها أو لتعرض آخر

(٢) ومن الامور التي لم يتجر فيها المؤلف الحقيقة والصواب قوله في ص

١٤٦ في تعداد كتب الواقدي

« ٢ كتاب فتوح الشام : هو اشبه بالتخصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمباينات لسكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواء من كتب الفتوح، وقد طبع مرارا - الى ان قال - وطبع ايضا في مصر سنة ١٨٨٢ » وغيرها . ثم بعد ان ذكر عدة كتب له قال :

« ٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهقنا طبعت بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم تقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه . واكثر كتبه عشوة بالمباينات لا يسول عليها وفي مجلة المشرق البيرونية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جن بلة الفائدة »

اقول اني لم اطلع على نسخة المشرق ولا على انتقادها ولكن الامر لا يجبهه من له ادنى إلمام بتمييز كتابات المصور المختلفة او بالتاريخ ان كتب الله ازي التي تطبع في مصر من مثل تروج الشام ومصر والبهنسا وفتح خير وفتح مكة ورأس القول ونحوها هي من الكتب الموضوعه الخيالية المشتملة على بعض حقائق تاريخية والاقرب انها وضعت هي وقصة عنزة وذات الهمة وغيرها زمن الحروب الصليبية لعرض في الناس فضيلة الشجاعة والاقداء بالسلف الصالح لانها هي نفس كتب الواقدي الحقيقية وان الذين سموها بهذه الاسماء هم جماعة الوراقين والنساخين لتروج سلعهم عند القراء كما نسب مؤلف قصة عنزة روايتها الى الاصمعي وزعم أنه عمر وادرك اهلها وقابل شيوبا اخا عنزة . واني لا خجل ان اري مثل مؤلفنا قد انخدع بهذا الباطل وطوح به الامر ان قال في كتب الواقدي ابي التاريخ انها محشوة بالمبالغات لا يعول عليها . وليت شعري على من نعول في تاريخ الفتوح اذا لم نعول عليه . وهذا ابن سعد كاتب الواقدي وتلميذه نقل عنه اكثر اخبار الفتوح في كتابه الكبير (طبقات ابن سعد) البالغ بضعة عشر مجلداً وهو اصح كتاب في طبقات الصحابة . على ان المؤلف لو راجع عبارة بعض هذه الكتب المنحولة للواقدي وبعض الكتب الاخرى الصحيحة النسبة اليه كفتح افريقية وفتح المعجم لين بين الصحيح والموضوع . ولكن قائل الله العجبة وخاصة العجبة في التأليف .

(٣) ومن الامور التي لم يختر فيها المؤلف الحقيقة نقله ما يقول بعض خصوم الجاحظ من الصفاتية واهل السنة من انه كان يقول: ان القرآن المنزل من قبيل الاعداء وانه يمكن ان يصير مرة رجلا ومرة حيوانا الخ الخ والجاحظ اعقل من ان تنسب اليه هذه المقالة وهو هو من علمت، ومذهب المعتزلة مبسوط معروف في كتب الكلام ولم يسمع عنهم هذا القول، والجاحظ لسانهم وحجتهم والتؤيد لمذهبهم وانما اخذ اعداؤه هذا من قوله في القرآن: انه مخلوق، اي كما تخلق بقية الموجودات من انسان وحيوان وترجمة الجاحظ ذكرت في كثير من الكتب واخصها ترجمة ياقوت في معجم الادباء وهي نحو ٢٥ صفحة ولا توجد فيها هذه الفرية ولا اعرف المؤلف نقلها عن غيره الشهرستاني او عن نقل عنه.

(التناقض)

تناقض المؤلف نفسه في كثير من مواضع كتابه فمن ذلك: (١) قوله في صفحة

(١٥٩) « ويمتاز ابن الرومي بتفضيحه المعنى على اللفظ كالتنبي فيطلب صحة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجئة اللفظ وقبحه وخشوعته (١) ومع ذلك فانك تجد في لفظه سهولة ومناة »

قرأنا هذه العبارة فتسجبنا من تناقضها ولحنا في أثنائها ولما يشير به الى الذيل من أنه أخذ هذه العبارة من العمدة لابن رشيح ج ١ ص ٨٢ فراجعنا العمدة فإذا فيها « ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي الخ » ولم يذكر العبارة التي زادها مؤلفنا من عنده فأوقع نفسه في التناقض كما أوقع قارئ كتابه في حيرة . (٢) ومن تناقض كلام المؤلف قوله في صفحة ١٢٣ في تمريضه لكتاب المين « ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه ولكن الثقات الباحثون في حقيقة نسبه اليه وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال (وقع في البصرة كتاب المين سنة ثمان وأربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين ديناراً ، وكان قد سمع بهذا الكتاب انه في خزان الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق »

فانت ترى من هذه العبارة ان الكتاب اشتهر في عصر الخليل حيث لم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصره الا استفاد منه على زعم المؤلف ، ولكن لا تكاد تفرغ من قراءة هذه الجملة حتى تقع في ان الثقات الباحثين مختلفون في نسبه للخليل وفي صحة ما فيه . فليت شعري من هم هؤلاء الثقات الباحثون؟ أم جميع التابعين من النحويين واللغويين والادباء الذين استفادوا جميعهم منه؟ أم هم غير هؤلاء التابعين؟ وبعد فمتى استفاد هؤلاء التابعون؟ والكتاب بشهادة ابن النديم بل بشهادة كل من كتب في تاريخ كتاب المين لم يظهر الا بعد موت الخليل بنحو سبعين سنة وذلك ما جعل العلماء يشكون فيه وأنه لو كان للخليل لذاع أمره وعرفه تلاميذه وتقلوا عنه مع أن تلاميذ الخليل مثل الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد وتلاميذهم - كل أولئك لا يعرفون عن كتاب المين شيئاً ، ولكن مؤلفنا وحده يعلم أنه لم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وبعده الا استفاد منه ولله في خلقه شؤون .

(٣) ومن تناقض المؤلف قوله في صفحة ٢٠١ « نشأ علم الجغرافية في هذا العصر (أي العصر الثاني المباسي) بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جهتها كتاب بطليموس وعليه مهولهم في تقييم البلدان . على أن المسلمين بدءوا بوضع

الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لأسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها الخ الح . فان تمحلنا عذراً للمؤلف في هذا التناقض وقتلناه استعمل شبه الاستخدام البديهي في كلامه فيكون قد ذكر الجغرافية أولاً بمعنى الجغرافية الرياضية واعادها ، ثانياً الجغرافية التخطيطية التي كانت تسمى علم المسالك والمعانك فلا يصح رفع التناقض من كلام المؤلف أيضاً لان العرب اشتغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثاني ، والمأمون وعلمائه من صحح اغلاط بطليموس وغيره في محيط الارض وقطرها ومقياس الدرجة الارضية .

(٤) ومن تناقض المؤلف وتحييره قوله في أبي العتاهية « وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد وبؤخذ من سيرة حياته أنه كان مقردداً متقلباً ويفلب ذلك في طباع الشعراء لانهم أهل خيال وأوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فلم يتقبلون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حينما كان . على ان تمنع أبي العتاهية عن قول الفزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك » !!

ما قولك أيها القاري في هذه العمل التي لو صدقت (لا قدر الله) على كل شاعر يتكسب بالشعر كابي العتاهية لترمت الدنيا بكثرة المحرورين والموسومين المتخبطين . على أن الله أرحم من أن يصدق زعم المؤلف في الشعراء من عباده فلم تر بعد أبي العتاهية من يشبهه في سودائه والحمد لله .

(الاختصار فيما ينبغي الاطناب فيه)

« والاطناب فيما ينبغي الاختصار أو فيما هو اجنبي من موضوع الكتاب »

من اعجب امور المؤلف انه يعلم ويعلم ان الناس تعلم انه يؤلف كتابه في آداب اللغة العربية لا آداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا الهندية ولا السريانية ولا اللغات الاوربية الحاضرة ، ثم نراه اذا خاض في ذكر مبحث من مباحث الآداب العربية او عدد نباء أو ذكر ترجمة نابع شاعر أو كاتب او مصنف اقتصر على ذكر تنف قليلة من المبحث او اقتصر على المدد القليل من مشهورى النباء واختصر تراجمهم مكتفياً بذكر ما لا يلزم الناقد الاديب وبذكر الكتب التي يراجعها من شاء التوسع وقد لا يزيد عن كتابين معروفين لاكثر الناس لا حاجة للدلالة عليهما على

حين انه يطول في كثير من المواضع حتى ليكرر كثيرا من المباحث في غير مكانه مجرد ولعه واعجابيه بل يخرج به ولعه بالشئ ان يدخل في كتابه مباحث مطولة جدا ليست من موضوع آداب اللغة العربية وتراجم اناس ليسوا من العرب ، ولا خالطوا العرب - فمن النوع الاول :

(١) اختصاره في تراجم مشهوري الشعراء واقتصاره منها على ذكر تفجافة قلما يتعرض فيها لنقد او موازنة او تقرير حكم معتدرا عن ذلك بانه ليس من الادباء المتفرغين للدرس والنقد . قال في صفحة ٥٨ عند ذكر سبعة من شعراء العصر الاول :

« واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته الى مجلد قائم بنفسه فترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء . »

ونحن نسلم معه انه ليس من المتفرغين للدرس والنقد من الادباء ولكن لانسلم ان من لم يفرغ للدرس والنقد من الادباء يوثق بقبوله او يفتد برأيه في هذا الباب اويظن انه باختصاره اثر الالهم على المهم . وأي مقام يفرض عليه الايجاز الخالي من الحكم الادبي والكتاب ليس مذكرة مدرسية تنطبق على برنامج مدرس مختصر وانما يقصد المؤلف به ان يكون مرجعا لجمهور المتأدين من القراء الشداة لا التلاميذ الاحداث ، بدليل ان (حضرته) وعد في كتابه هذا ان يختصر منه ما يخص التلاميذ المدارس . على ان الذي يستطيع ان يؤلف مجلدا في ترجمة شاعر لا يهجزه ان يلخص هذا المجلد في صفحة او اثنتين بحيث يشير في كلامه الى نتيجة البحث والنقد .

(٢) ومن اختصاره او اقتصاره او تقصيره انه لم يترجم لاحد من كتاب الرسائل في العصر الاول ولا الثاني (اي في مدة مائتي سنة) وهما عصر البلاغة والجزالة الالائين ، أحدهما عمرو بن مسعدة والآخر القائد طاهر بن الحسين قانع بغداد وقائل الامين ووالي خراسان ، وقد علمت انه ليس من كتاب الرسائل ولا عمل في ديوان . مع ان كتاب الرسائل في هذين العصور لا يقل التابغ منهم عن عشرين تولى اكثرهم الوزارة او ديوان الرسائل والتوقيع والخاتم كسمارة بن حمزة وابي عبيدالله ويعقوب بن داود وزيري المهدي وخالد بن برمك وابنيه الفضل وجعفر واحمد بن

يوسف وزير المأمون وابن الزيات و ابراهيم الصولي والحسن بن وهب وسليمان بن وهب وسعيد بن حميد وابن مكرم واحمد بن امراثيل والحسن بن مخلد وبني المدبر وآل ثوابة وآل الفرات وآل الجراح وابن مقلة وغيرهم ممن تزينت كتب الادب بيارع كتبهم ، وطلعت اهله البلاغة من خلال فصولهم ، وليسوا بالمجهولين فيجعلهم المؤلف ، ولا المدفوعين عن تقدم فيلوي عنهم عنانه .

(٣) ومن تقصير المؤلف اهماله ذكر الجرمي من نحاة المصير الثاني مع ترجمته لابن ولاد وابي جعفر النحاس وغيرهما ومكان الجرمي في النحو لا يجهل .

(٤) ومن تقصير المؤلف اهماله ذكر الاوزان والقوافي التي طرأت على الشعر في جميع العصور التي ذكرها كالمواليا والدوييت وابحر المولدين والشعر المزدوج والمسقط والتعريف بقائلها واكتفى ببذرة يسيرة في الموشحات في العصر الثالث ومن النوع الثاني اي التطويل في غير موضعه بل ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه او ما ليس من موضوع هذا الجزء الثاني الخاص بالاضر العباسي :-

(١) تخصيصه اثنتي عشرة صفحة من كتابه لموضوع اجنبي من موضوع آداب اللغة العربية بالمره وهو آداب اللغة اليونانية واطوارها وتراجم مستقلة بصور كبيرة لفلاسفة اليونان كسقراط وافلاطون وارسطو واقراط واقليدس وارشميدس وجالينوس وآداب اللغة الفارسية واطوارها وآداب اللغة السريانية واطوارها وآداب اللغة الهندية . نقل هذه المباحث من دوائر المعارف ووضعها في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي لاقبل مناسبة ثم نقلها هنا بلا مناسبة وكان الاولى بان يؤلف ان يجعل محلها كتاب الدولة العباسية وهم فحول البلاغة وقادة الكلام

(٢) ومن ذلك اسهاب المؤلف في شرح الادب والانشاء عند الافرنج ص ٢٧٦ مع انه ليس من غرض كتابه

(٣) وذكره لبعض قصص الافرنج الخرافية ووضع صور خرافية لحروب الاسكندر المقدوني مع أمم لهم ست أبد وأمم لهم وجوه بهائم

(٤) ومن التطويل أو من الاخلال بالنظام وضع الكلام في مبحث تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية في هذا الجزء وكان من حقه أن يدرج في الجزء الاول

(٥) ومن التطويل تكرار الكلام في موضعين أو ثلاثة لتفسير موجب مثل وصف التهنك والخلاعة ذكره في الشعراء ثم اعاده بينه في الشعراء ص ٥٠

(٦) ومن التطويل في غير موضعه نقل القصة المطولة التي تحكي عن عبد الملك

من أنه قال جلسائه يوما « ايكم يأتيني بحروف المتعجم في بدنه وله عليّ ماشاء » وان سويدا ذكر من كل حرف كلمة ثم ثلاث كلمات ، وان هذه القصة وما سيقت لاجله ... وقد بلغت نحو صفحة - كان حقها أن توضع في حالة اللغة في بني أمية لا أن تذكر في علم اللغة في بني العباس (٧) ومن ذلك ذكره حالة الفناء في الدولة الاموية ضمن مقالة الموسيقى والفناء في الدولة العباسية وكان من حقها أن توضع في الجزء الاول

(الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كلي)

اعتاد المؤلف في كتبه أن يستتج من حادثة جزئية أمراً كلياً وهذه الحصلة من أكثر ما يتواءم عليه النقاد وقد عمل بها في كتابه هذا غير مرة كقولوه في صفحة ٧٨ في ترجمة في سلم الخاسر « وكثيرا ما كان يأخذ أقواله (أي أقوال بشار) فيسلخها ويمسحها كما مسح هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيات الفاتك اللوح
جمله

من راقب الناس مات غما وفاز بالذة الجسور
فبلغ بيته بشارا فنضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يقبده ما دام حيا فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي الخ «

فشكل من تتبع ترجمة سلم الخاسر في مظاهرها لا يجد من سرقته لشعر بشار غير هذا البيت وهو وحده سبب النضب

وقوله في صفحة ١٦٧ في ترجمة الحافظ وذكر إصابته بالفالج ولزومه بيته بالبصرة « وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسامع منه فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة الا طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه «

فليفضل علينا المؤلف ويذكر لنا أديبين أو ثلاثة من هؤلاء غير ذلك الوالي البرمكي المصروف عن ولايته بالسند الذي جعل ذهبه في أشكال الاهليج ان جاز له أن يدعي أنه كان أديبا طالما

ومن هذا القبيل شيء كثير في الكتاب

(تقليده مستعربي الفرنجية حتى في الخطأ)

للمصنف ولم ينقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وآدابهم - ولو خالف الواقع - ومن ذلك نقله فصولاً برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانكليزي وبروكان الالمانى مثل مقالة الشعر في العصر الاول وغيرها

(اضطراب التبويب والتقسيم)

ان بعض مقرضي هذا الكتاب وصفه بأن أهم ما يمتاز به عن كتب المتقدمين هو حسن تبويبه وتقسيمه ، ولكنني لسوء حظي لم أوفق الى سر تبويبه وتقسيمه طناً الكتاب - اذ أجد ما يصح ان يذكر في تاريخ الآداب، وما يلزم أن يوضع في كتب آداب الفرنجية، وضع في أدب العرب ، وما ينبغي أن يجعل في عصر ظهور الاسلام جعل في عصر بني العباس، ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غير عصره أو في طائفة غير طائفته الخ الخ بحيث تضطرب المباحث وتداخل الصور وبتنس الامر على القارئ فلا يدري خاصة كل عصر . فمن ذلك :

(١) ذكر القرآن الكريم والعلوم التي قرعت منه وبيان تأثيره في آداب الجاهلية من الخطابة والشعر والأنشاء واللغة وبيان تأثيره من الوجهة الاجتماعية والأخلاقية مع أن محل ذلك مبدأ ظهور الاسلام اذ هو وحده مبدأ هذه التغييرات

(٢) ابتداء المؤلف هذا الجزء بالكلام المسهب في العلوم الدخيلة وتراجم رجال اليونان وتأخيرها الشعر العربي والعلوم العربية والشرعية عن موضعها مع أنها هي للمباحث العربية الاولى بالتقديم - لا في الكتاب صنف في أدب اللغة العربية لا الدخيلة . ولو سلمنا ان للمؤلف سراً في تقديم الدخيلة ، فما هو السر في أنه أخرها عن الشعر العربي والعلوم العربية والشرعية في العصر الثاني والثالث ؟

(٣) اسبابه في صفحة ١١٩ و ١٢٠ في حالة العناية بأمر اللغة في زمن بني أمية ، وكان الاليق أن يذكرها في الجزء الاول الخاص بآداب الجاهلية وعصر الخلفاء الراشدين وبني أمية

(٤) اسبابه في الكلام على الاغاني في عصر بني أمية في هذا الجزء الخاص ببني العباس ومن حقه ان يذكر في الجزء الاول

(٥) ذكره ان احتدام الخلاف بين اتحويين الكوفيين والبصريين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية . والحقيقة أن الخلاف أشد ما كان بين كوفي وبصري قد كان في العصر الاول . وأما الثاني والثالث وما بعدهما فقد هان فيها الخلاف ووجدت مذاهب ملقحة من المذهبين . فكان الاولى ذكر هذا المبحث المنسب في العصر الاول

(٦) ومن ذلك تأخيره الكلام في نشأة علم الفرائض الى العصر الثالث مع أنه قديم دون مند دون الفقه فكان الواجب ذكره في العصر الاول

(٧) ومن ذلك ذكره عدد كثير من الشعراء والعلماء المصنفين من أهل عصرين العصر الذي يليه أو الذي قبله ويعلم ذلك من وفياهم فليتبه لها القاهي . ولولا أني سمعت من كثرة التعداد لا ثبت عليهم جميعا . وكثيرا ما يذكر المؤلف علماء فن مع علماء فن آخر وشعراء نوع في شعراء آخر . وان شاء المؤلف ان تفصل له هذا الاجمال ونذكر من هم الذين تاملهم بهذه المعاملة فنحن على كتب من إجابته

(تهافت المؤلف)

للمؤلف تهافت وولع بالشيء لا يؤبه له أو بالأمر يناسب مقاما خاصا فيقصد به في كل مقام كما فعل هذا في كتابه هذا وغيره في مواضع شتى فمن أمثلة ذلك : ولعله بعساة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس الى عكس ما يراد بها فذكر في هذا الكتاب صفحة ٢٢١ ان اضطراب الخلافة الاسلامية وانحلالها الى إمارات وممالك صغيرة متنافسة منشا كسة من دواعي النشوء والارتقاء، في حين ينده المؤرخون من دواعي الانقراض والفتناء ، كما هي النتيجة الحقيقية التي أعقبت هذا الانشعاب . فذلك حيث يقول « فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في المملكة الاسلامية بالفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء الخ الخ »

ثم ناقض قوله هذا بقوله في العصر الثاني أي الذي كان بعد ان اضطربت الخلافة وحدث الارتقاء . على زعمه . « حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر الثاني فتور على أر البحر ان السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتعلوا بأهوسهم عن تشييط العلم . ثم ذكر أن بعد هذا الفتور حدثت نهضة لم يبين سببها وقال : والفاعل في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي الخ » ومن مثل هذه المسألة كثير في الكتاب

(اللحن والاعطال اللغوية)

لا تكاد تمر بالقارئ صفحة من الكتاب الا مشتمة على خطأ لفظي إما في النحو أو الصرف أو اللغة وكان يجدر بالمؤلف أن يعرض كتبه على ناقد بصير بصناعة الأعراب حافظ لمستعمل اللغة حتى لا يردل كتبه النفيسة بهذه الاعطال الشائنة واذ كانت هذه الاعطال تعد بالمشرات بل المئات لا ترى من الواجب علينا ونحن نجالسنا هذه بشيء منها ولسكننا لا تتأخر عن اجابة حضرة المؤلف اذا أراد تصحيح كتابه مرة أخرى بتدادها له في فرصة من فراغنا ان سنحت

(النتيجة)

ان الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يتخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه ونشكر حضرة المؤلف على اهتمامه بخدمة العلم ونسأله مسامحة فيما كتبنا اقتداء به أو مساعدة له على هذه الخدمة لاغير وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية ﴾*

- ١ -

مقدمة وتحميد

من الناس من يكتب ليعجب الناس بما يأتي به من زخرف القول ، ومنهم من يكتب ليرضيهم بما يديه من حسن الرأي . فهذا يقتصر حوادث الزمن ، وذلك يرتقب سوانح النكت ، ليحل كلامهما محل القول ، ويصيب مواقع الاستحسان من القلوب ، ونسأل الله أن لا يجعلنا منهم
ومن الناس من يكتب لاجل النفع ، بازالة باطل أو اظها حق ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، فهو يتحول الناس بالموعظة ، وتخونهم بالكشف عن مكامن العبرة . ونرجو الله أن نكون من هؤلاء في الدنيا وأن نحشر معهم في الآخرة
نساءل بعض الناس لم كتبت تلك المقالات الطوال في المؤيد حين أوقدت نار

(* نشرها أولاً في المؤيد)

الحرب في طرابلس الغرب وبرقة . ولم أكتب فيه شيئاً في ابان هذه الحرب ، وهي أدهى وأمر ، وأنتكى وأضر ، ولو تذكروا تلك المقالات لعلموا أنها كتبت في شأن هذه الحرب وكون تلك مقدمة لها ، أي أنها فتح لباب المسألة الشرقية وتصد من أوربة لحل هذه المسألة ، والقضاء المبرم على ما بقي للمسلمين من هذه الدولة . فلو وماها اخواتنا المسلمون ووزنوها بميزانها لفكروا في مستقبلهم ، واجتمع أهل الرأي منهم في كل مكان للبحث عن مصيرهم ، ولم يرضوا أن تبقى مصلحتهم العامة في أيدي بعض سفهاء الاحلام ، الذين لا يملكون هنا الا البناء في الكلام ، وتضليل العامة بالوساوس والاهام ، وكان من ضررهم ما كان . فكيف بحال أمثالهم في عاصمة الدولة وقد ملكوا مع هذا كل شيء فدمروا كل شيء

اني وايم الله لا أكتب لأجل الافادة والنفع ، وما اكتفيت في أيام هذه الحرب بما كتبت في المنار ، وأمست عن الكتاب في الجرائد اليومية - وأولها بما أكتب في هذه الحال المؤيد - الا لاني أرى أن هذه مثل البلاد لا تستطيع أن تنفع الدولة الآن الا بالمال . وقد انبرى لجمه لها أمرؤها فخفت لصوتهم كل صوت ، وقصر عن قولهم كل قول ، ونضاهل دون سمعهم كل سمعي ، جزاهم الله أفضل الجزاء ، وحصني من شرهم مشاركتهم في ذلك ولو بالاسم اني عضو في جمعية الهلال الاحمر - فلم يبق من طرق نفع الكلام في هذه الحرب الا بيان ما فيها من العبر ، وما أدى اليها من الاسباب ، وما يلزم عن تلك المقدمات من النتائج . وهذا ما كنت أربص به أن تضع الحرب أوزارها ، لتلايقال إنه ابتسر العبرة فجاءت قبل أولها . كما قال بعض أصدقائي في مقالة نشرتها في المنار

أما وقد عقدت الهدنة ، وعين المفوضون للبحث في شروط الصلح ، وقد ثبت خيانة وفساد جمعية الأتحاد والترقي للدولة ثبوتاً وسمياً ، وعلم الخاص والعام ، أنها هي علة حرب طرابلس وحرب البلقان ، فقد جاء الوقت الذي يرجي أن ينفع فيه القول ، ويخشى أن يضر السكوت . وترجع المنتضى على المانع

قد كاد يكون من موانع الكتابة قلة وجود المتدبرين الذين يميز بين قول الحق ويعرفون أهله بأدلتهم وسيرتهم ، وبين أقوال المبطلين الذين يغشون الأمة ويعزونها بتأييدهم للاقوياء الذين ينتفخون منهم ، فقد كان زعماء الحزب الوطني هنا يغشون الناس بالسلطان عبد الحميد الذي باعوه ذمتهم بالرتب والنياشين والدراهم والدنانير حتى كان بعض زعمائهم يجعل الشهادتين في الاسلام ثلاثاً . فأوجب على من

٥٦ الحزب الوطني المصري وجمعية الأتحاد والترقي (المارچ ١ م ١٨)

يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . أن يملك فيقول وأشهد أن السلطان عبد الحميد خليفة الله . ولولا هذا التثبيت لما انتقل من لقب أئندى الى لقب بك . ومنه الى لقب باشا . وما زالت جريدة اللواء نفس المسالين طامة والمصريين خاصة بعبد الحميد مدة حياة مؤسسها وبعد موته الى ما قيل اعلان الدستور يوم واحد اذ كتب فيها يوم الاربعاء طعن شديد في مطالب الدستور من السمانين وروحي لهم بأنهم يريدون به هدم الدولة ، وأنباتا البرقيات باعلان الدستور يوم الجمعة فلما سقط عبد الحميد ، وزا على الدولة بدمه أولئك الأعيان المتخرجون في ملاهي فاعطه ويوغلي وسلاطيك وباريس ، وأفسدوا كثيرا من ضباط الجيش ، وجعلوا بؤتهم الدستور آلة لتفريق عناصر الدولة وذريعة لحو اسما من لوح الوجود - قام أنصار عبد الحميد هنا وفي بلاد أخرى ينصرون هؤلاء المتغلبين الخرجين ، ويفشون الأمة كما كانوا يفشونها به أو أشد . وكان يصدقهم في إطرانهم كثير من الناس مع بيان جرأتهم الاعم كلها نفاستهم ، بل مع ظهور هذه المفاست بالفعل - الى أن أبكم الله أئنتهم قبل ثبوت خيانة مستأجريهم للدولة ثبوتاً رسمياً ، وتكامل الحكومة السلطانية بهم وتمزيقها لشملهم . ولعله لو بقى لهم لسان ينطق ، وقلم يكتب وينشر ، لم ينجحوا من الاستمرار على التويه والتضليل . اذا كان أملهم بمودة الجمعية الى استبعادها باقيا ، أو امدادها لهم لا يزال متصلا ، ويا حسرتي على شبان هذه البلاد ، الذين خدع كثير منهم هؤلاء المفتونين بالمال والشهوات ، والشهرة الباطلة ، والأوهام المضللة نعم ان رواج التبرير والتضليل في سوق السياسة وقلة التمييز بين الحق والمبطل ، والصادق والكاذب ، قد كاد يكون مانعاً من التصدي للكتابة لولا أن الله تعالى أوجب التصح وبيان الحق ، وحرّم القنوط واليأس ، وجعل العاقبة للمتقين

﴿ مقدمات الخذلان في هذه الحروب ﴾

جمعية الأتحاد والترقي

انني اعرف من أمر هذه الجمعية ما لا يعرفه أحد في القطر المصري ، وقد بلوتها واعتبرتها في الأستاذة مدة سنة كاملة ، رأيت من زعمائها وسمعت من أئنتهم ، ورويت عنهم بالاسانيد العالية المنصلة بهم ، فلا يتفق مثله الا لقليل من الناس ، ثم أيدت أحاديث جراند العالم وحوادث الدهر ووقائعها ما علمته عنهم ، فأنا أروي ما تؤيده الاحاديث

والحوادث، وأستخرج العبرة منه، ليعلم أولوا الفيرة على هذه الدولة التي لم يبق للمسلمين غيرها أن مكانتها، وما هو الخطر الذي يذورها، لعل ذلك يكون ما يستبين به أولو الرأي ما يجب لحفظ سلطة الإسلام، المهددة بالزوال والافتراض (والعياذ بالله)
أبدأ بذكر أهم الوسائل التي شرع الأتجاهيون فيها ولا أذكر مقصدهم الذي يتوسلون إليه بتلك الوسائل الآن، لانه لا يصدق غير العارف بحقيقة أمرهم، الا اذا أطلع على المقدمات والوسائل التي أذكرها، لانه مقصد غريب في نفسه

(أعمال الأتجاهيين التي كانت مقدمات الخذلان في الحرب)

ازالة قوة المسلمين غير الترك من الدولة

أول ما قرر زعماء هذه الجمعية البدء به من الاعمال، بعد ما ضوا به من جميع الاموال، بضروب من القوة والاختيان، هو ازالة كل قوة للمسلمين في هذه الدولة حديثي غير واحد في الاستانة من الترك وغير الترك من السبانيين وبعض الاجانب العارفين بأمور الدولة أن من برنامج جمعية الأتجاه والترقي أن تجتمع السلاح من الارنؤوط وتضربهم ضربة شديدة، ثم تجرد جيشا آخر أو جيوشا لضرب العرب في اليمن وعسير، وعشارهم وعشار الدروز في حوران وجنوب بلاد الشام ثم العراق، وتجمع السلاح من الجميع، وسأذكر ما قرر في شأن طرابلس بعد، وبعد هذا وذاك تجرد جيشا آخر على الأكراد تذللهم وتجمع السلاح منهم، فاذا هي جمعت السلاح، وأخضعت لهيتها أولى القوة والبأس من المسلمين، يسهل عليها أن تنفذ مقصدها بلا منازع ولا منازع.

قررت جمعية الأتجاه والترقي تنفيذ هذه المادة من برنامجها ولم تفكر في عواقبها، لم تفكر في عجز الدولة عن حماية هذه البلاد اذا كانت مجردة من القوة الذاتية، ولم تفكر فيها تخسره في قتال هذه الممالك من الاموال التي تأخذها من أوربة بالربا الفاحش، ومن الجنود المنظمة التي تحتاج اليها للدفاع عن الدولة وحفظ سلطتها، ولا فلما ينشأ عن هذا القتال من الفتن، وتفرق عناصر الدولة وأحلال روابطها بدأت الجمعية بقتال الارنؤوط وأنا زب الأستانة فبذل مبعوثو هذا الشعب مجتهدهم في فتح مجال الجمعية بأن يتوسلوا الى حل مسألة الارنؤوط بالنصح والسلم فلم يقبلوا. وأظهروا الانحياز لهؤلاء المبعوثين حتى انهم صنعوا اسماعيل كمال بك الزعيم الشهير

بإرها لأتجاه لسورية وغيرها من الخطر الا بالدفاع الوطني العام (المزارح ١٦م ٩)

في مجلس الامة . ومن شرائب صنمهم أن جحدوا ماقدروا على جمعه من سلاح المسلمين ولم يسدوه اليهم ، ولكنهم أعادوا السلاح الى المايسوريين لانهم نصارى ، فانظر كيف كان عاقبة أمرهم ، وكيف ظهر انه كذب يجب عليهم أن يسلموا جميع مسلحي تلك البلاد ويدربوهم على الفنون العسكرية لاجل الدفاع عنها ، ويؤثفوا منهم عصابات كهصابات البلغار وغيرهم . ولو فعلوا ذلك لنفع الدولة في هذه الحرب نفعا عظيما ثم فعلوا فعلتهم في اليمن وعسير ، وفي الكرك وحموران ، فقد جردوا لقتال المسلمين في هذه البلاد زهاء مئة ألف جندي من أحسن جنود الدولة النظامية أو أحسنها على الإطلاق . قتل منهم في اليمن ألوف كثيرة وبقيت مسألة اليمن كما كانت . ولكن خربوا بلادا كثيرة منها ومن بلاد الكرك وحموران ولم تستفد الدولة في مقابلة هذا التخريب والخسران شيئا . ولو تم لهم ما أرادوا من جمع السلاح من بلاد اليمن لاستولت عليها ايطالية في السنة الماضية وقتلت من فيها من المسكر ، لان الدولة ما كانت تستطيع أن ترسل اليها مدادا . ولو نزل أولئك الجنود في مسكرهم لرجحت الدولة على البلقانيين بهم والآن يتحدث الناس فيما ذكرته الجرائد الفرنسية عن سورية ومصالح دولتها فيها والظاهر أن المراد به اختبار رأي الدول في أمر استيلائهم عليها . وقد عرف بالقياس على مسألة طرابلس الغرب ومسألة البلقان أن الدولة لا تقدر على حفظ سورية الا اذا كان فيها قوة ذاتية تحشي الدول العظمى بأسها . ولا يمكن ان تأتي هذه القوة من الروملي ولا من الاناضول ، بل يجب أن تكون مؤلفة من الجند النظامي والاستياطي الذي فيها ، ومن قبائل العرب والمشار الوطنية والجاوذة ، وهؤلاء هم الذين يحشون الاجانب من جانبهم اذا كانوا مدرين على القتال مالا يخشونه من الجند الرسمي ، لان قتالهم يكون بالمطولة لا بالناجزة فالخسارة فيه عظيمة ، واما هؤلاء الاجانب تجار يطلبون الربح من أقرب طرقه . وأشدهم اتقاء للقتال أعظمهم توغلا في الاستعمار كالكثرة وفرنسة . ولعل ايطالية لا تمود الى مثل غلطها في طرابلس الغرب . بل أظن أن البانار قد ندمت على تهورها في طلب أمتيتها على ما أتبع لها من الظفر بخاذلتها واعمالها ، وأنها لا تمود الى مثله ظهر ضرر هذا العمل السيء الذي شرع فيه الأتحاديون ، وظهر أنه كان الواجب الحتم أن يعمدوا ضده ، وأن يجملوا في كل قطر من هذه الاقطار قوة أهلية تساعد الدولة وتؤهلها للدفاع عن قطرها ، فهل يعتبر الناس بهذا ويسون للواجب من جميع الطرق ، هل يتدرغونه الأتحاديون ويندمون عليه ، هل يسكت عن الاستعداد لهم ، أحجوروهم والمترورون بهم ؟

كلا اتنا قرأنا في جرائد أمس أن زعماءهم لا ينجحون من الاصرار على التبجح
بمثال الدولة - أو الحكومة الامتدادية - الارناؤوط وان ظهر ان ذلك كان مصابا
كثيراً على جميعهم من جهة وعلى الدولة نفسها من جهة أخرى . وهالك شاهداً مما
قلته إحدى جرائد الاستانة عن أحد زعماء الجمعية الذين فروا في هذه الايام الى اوروبا :
كتب صاحب جريدة اقدم التركية من سويسرة الى جريدته في الاستانة يقول
انه قرأ في جريدة (بسترلويدي) حديثاً دار بين مكاتب هذه الجريدة (مسيورالي)
وبين جاويد بك أحد زعماء جمعية الامتداد والترقي الذي كان ناظر المالية في أهم وزاراتها
سأل ذلك المكاتب جاويد بك عن أسباب انكسار الجيش النمائي وخذلانها في
البلقان فكان الجواب بعد مقدمة فيما ينقص الجيش وفي مصادره ما خلاصته :

« اتنا كنا هبنا كل شيء ، وأنفقنا على ذلك اربعين مليون ليرة في السنوات الاربع
الماضية . ولقد ظهر كل هذا في مجيئنا الحملة على بلاد الارنؤوط وحقارتنا تلك
البلاد . أما اسباب فشلنا العظيم فترجع الى تنظيم رجال جدد لم يطلخوا على الترتيبات »
فبما مل العقلاء كيف اعترف الزعم الامتدادى الذي كان ناظراً للمالية بأنهم -
صروا على الجيش اربعين مليون ليرة وكيف يتبجح بأن عمرة تنظيمهم للجيش واقاقمهم
وايد قد ظهرت في قناتهم لطائفة من رعية الدولة الخاصة لها . أهذه هي غاية استعداد
الدولة الخيرية الخيرية الدستورية المسلحة ؟ انعمدون منتهى شوطكم أن تأخذوا
بذلك الامة بأموالها وتحملوها الديون التي تذلها للاجانب لاجل أن تقتلوها به
وتذوقوا وتدمروا بنفسها ؟ ألا فليعتبر المستبشرون ، أو ليأتينهم العذاب وهم ينظرون .

— ٢ —

ترویج عصیة الناس النمائیة

كان الناس يسمون من اسم جمعية الامتداد والترقي انها جمعية عرضها أن تجعل
بين الناس النمائیة وجمدة سياسية اجتماعية بالساواة بين الترك وغيرهم في الحقوق
الشخصية والسياسية كمناصب الدولة ووظائفها وان هذا هو المراد من كلمة
(الامتداد) الذي يتبعه الترقي في المصراع وما يتوصل به اليه من العلوم والفنون . فلما صار
التفرد في هذا الجمعية لا مثال له كمنور ناظم وطلمت و جاويد دور حمي وجاهدوا ضرابهم ظهور
للاجئين والمطلبين من النمائيين والاجانب ان مرادهم بالامتداد ان تدغم العرب والارنؤوط
والسكرد وغيرهم في الترك وتغني لغاتهم وجنسياتهم فبهم فيكون جميع النمائيين تركاً !

كنا في طبعة من كتب في هذه المسألة ببيان فوائدها وغوائلها ومفاسدها ،
 ووجوب تقديم درء المفسد على جيب الناصح ، ومن أوسع ما كتبناه في ذلك يانا
 مقالة فلسفية اجتماعية عنوانها (الجنسيات العثمانية . واللغات التركية والتركية) نشرت
 في منار رجب سنة ١٣٢٧ أي بعد الدستور بسنة واحدة ، يانا فيها بالدلائل والحجج
 القوية أن نحو جنس من البشر بادغامه في جنس آخر قد صار في هذا العصر محالاً ،
 وإن الدولة العثمانية لا تستطيع أن تجعل غير الترك فيها تركاء ، وإنما لو كانت تستطيع
 لعدرتها عليه سياسة لا ديناً ، لأنني وأنا مسلم أرى أن الإسلام لا حياة له إلا بحياة
 اللغة العربية . وإنما حياتها بحماها لغة الخطاب والتم عند أهلها . ولكن زعماء الجمعية
 المرويين الأغرار ، كانوا يرون أنفسهم قادرين على الحال

لا عجب ولا غرابة في الأمر . فإن أولئك الزعماء إذا لم يسمعوا حجاج تلك
 المقالة ولم يشعروا بها فقد كان لهم على غرارهم مانع من نشوة الثور بحضوع
 العثمانيين لهم ، وتقديسهم لجنسهم ، وانقضتهم الدنانير والدراهم عليهم ، ومن سكر
 الإعجاب ببناء الجرائد الأوربية على رجال الانقلاب العثماني - وإن كان المستحق لهذا
 البناء هو صادق بك والعضباط الذين اتبعوه من دولتهم - ولكن العجب والغرابة في
 استمرار أكثر العثمانيين على الاغترار بهم بعد السنة الأولى للانقلاب ، وأتجه وأغربه
 ما كان من العرب الذين لم يتم الاتحاديون بشيء اهتمامهم بمحو لغتهم وإزالة جنسيتهم ،
 أو اضافها وإنهاك قواها ، ليستريحوا من إدلائهم بالسككزة والدين الذي يخينهم منه
 على السلطة التركية ما في كتب العقائد وكتب الحديث من كون الخلافة في قریش
 والأمة منهم ، وإن لم ينازعهم العرب في جعل الخلافة فيهم ،

وكل ما يوجد من هذا القبيل فيما تعلم أن بعض أصحاب الدسائس والمطامع في
 مصر كانوا يستغلون وسواس السلطان عبد الحميد فيوهونه أن العرب جنية أوجهيات
 تسمى للخلافة سعيها ، فكان بعضهم يرسل التقارير السرية الى المايين في ذلك حق
 نجراً مصطفى كامل على الجهر بالأرجاف بهذه الفتنة في لوائه ، في أول العهد بالبنائه ،
 وكبر الوهم فيها وعظمه بزعمه أن بعض الامراء يساعد هؤلاء الساعين على سعيهم .
 وقد أنكرنا على اللواء الأرجاوي بهذه الفتنة في المجلد الثاني من اثمار فسكان انكارنا
 هذا هو السبب الأول في طعن ذلك الرجل وأخلاقه فينا (كما أنكر المؤيد عليه ذلك مراراً)
 فلما زالت سلطة عبد الحميد ودالت الدولة لفتيان الترك الاحرار الذين كنا
 نسي معهم سعيًا واحداً الى ازالة الاستبداد السابق فلما اتقا استرخنا من الدسائس ،

(المار ج ١٦١) افساد مصطفى كامل وفريد وشاويش بين العرب والترك ٦١

التي يروجها المفسدون في سوق الوساوس ، ولكن رأينا زعماء جمعية الاتحاد والترقي لم يدعوا سبحة من سيئات العهد الحميدي الا وأعادوها سبحة ، فهم بعد أن أرسلوا مفتشيم وجواسيسهم الى جميع البلاد العربية حتى الحجاز فلم يروا من العرب الا الاخلاص الكامل للدولة ، ولم يشعروا في بلادهم أدنى رائحة لشيء يسمى الخيانة العربية ، وبعد أن أعروا شريف مكة بن سعود ، وأمام العين بالسيد الإدريسي ، وليس عند العرب قوة حربية تذكر الا ما عند هؤلاء . وبعد أن رأوا جميع كتاب العرب في مصر وسورية والعراق يتنون عليهم ويداعون عنهم ، وليس عند العرب قوة أدوية الا ما عند هؤلاء . بعد هذا كله رجحوا سعاية المفسدين على البراهين الحسية ، وأهضوا الى المرجفين بالخلافة العربية ، فتقرب شياطين العهد السابق واخلافهم اليهم ، اذ رأوهم يحسبون كل صححة عليهم ، وعاد محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش الى مثل إرجاف سابقهما (مصطفى كامل) بهذه المسألة فأعادوها في جريدتهم (العلم) سيرتها الاولى في جريدته (اللواء)

ولما كانت الشيخ عبد العزيز شاويش أشد غلواً وتهافتاً من مصطفى كامل لم يكتب بانهم جماعة الدعوة والارشاد بهذه التهمة بل طعن في جميع مسلمي العرب فكتب في جريدة العلم ان الدولة السنية لا يخشى عليها من الباقار ولا من الروم ولا من الأرمن ولا من نصارى العرب وإنما يخشى عليها من مسلمي العرب خاصة . ولاجل هذا التلويق قربته جمعية الاتحاد والترقي منها ، وجعلته من دعايتها وأعوانها ، وأنشأت له مطبعة وجريدة يومية في الاستانة كانت تنفق عليها من مال الحكومة وهاه ٣٥٠ جنياً عنانياً في كل شهر

ثم جاءت الحوادث تكذب هذا الإرجاف فان الحكومة الاتحادية حاربت عرب اليمن ، ونكلت بعرب حوران والكرك ، وعرضت عرب طرابلس الغرب ليران ايطالية ، ومع هذا كلهم يردد العرب الاتمقا بالدولة وإقداما على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيلها . وما رأينا من الامراء الذين أرجف بهم اللواء أولاً والعالم ثانياً والهلل الصباني ثالثاً الا التمجيد المالية للدولة والمساعدة التامة لها ، وهي في أخرج موافقها . وبعد هذا كله نرى كثيراً من الناس لا يفقهون ولا يعتبرن ، ولا يميزون بين المصلحين والمفسدين فهم ان العرب قد ظلموا على اخلاصهم للدولة ولكنهم ليسوا حجاجرة ولا حديدنا فتمر عليهم هذه الكوارث ولا تؤثر في نفوسهم . ألا إنها قد أثرت شر تأثير . وهو ان اليأس من الدولة قد دب ديبه الى قلوبهم وخصوصاً بعد حمل الجمعية مولانا

السلطان على حل مجلس المبعوثين الذي ضعفت فيه السلطة الاتحادية . وتألينهم مجلساً جديداً بقوة الحكومة بعد الضغط على المصنف وحرية الاجتماع وغير ذلك .
 يسوا من عد الدولة ايهم عضوا جميعها منها كاخواتهم الترك أولاً، ومن اصلاح الدولة ثانياً ، ومن بقائها ثالثاً ، الا أن تزول منها مفاصد الاتحاديين وتنشأ خلقاً جديداً .
 ومن العجائب أن يؤسهم هذه لم تدفهم الى القيام بمشروع ما لحفظ وجودهم وحفظ سلطة الاسلام في الارض . بل ظل لسان حالهم يقول : انت بقيت الدولة لعيش معها بهز أوذل كيفما اتفق لنا، وان ماتت نوت معها، ولاخير لنا في الحياة بعدها .
 وانني اذكر من شواهد اليأس الاول من هذه اليأس ما سمعته من احد أفراد حزب الاتحاد والترقي من العرب بعد استعراض الجيش الصباني في روابي الاسفانة امام ملك البطار سنة ١٣٢٨ وكنتم حضرت هذا الاستعراض في خيمة المبعوثين فلما انتهى وأردنا الذهاب قال لي ذلك المبعوث العربي الاتحادي « متى يكون لنا جيش منظم مثل هذا ؟ » فكانت هذه السكلمة كجذوة نار وقعت في قلمي اذ علمت منها ان هذا المبعوث الذي كنا نعد وجود مثله في الاتحاديين سببا لحسن الظن فيهم ، قد أداء اختباره الصحيح لهم الى الاعتقاد بان جيش الدولة ليس جيشنا . وانما هو في الغالب علينا .

هنا يخطر في بال كل قارئ هذا السؤال : اذا كان هذا هو اعتقاد هذا المبعوث في الجمعية فلم يبق فيها ؟ وعندني جواب هذا السؤال قاني كنت أقيته عليه قبل تلك السنة التي قال فيها كلمته الزارية فقال : اسكت انني علمت ان زعماء هذه الجمعية اذا أحسوا بأن أمر الدولة أشرف على التلفت من أيديهم فأنهم يعرضونها للزوال دون ذلك . ولهذا أرى أن بقاءنا معهم خير من تركنا إيهم !!

هذا بعض تأثير تهيج الاتحاديين للمصيبة الجنسية ومحاولتهم تزيك العناصر حتى العرب الذين هم أخلص المحاضرين للدولة وقد ظهر صدق اخلاصهم لها بالبرهان والعيان .
 وناهيك بكفاحهم في طرابلس الغرب ، وبلائهم في هذه الحرب ، وهل يخفى على بصير ما لليأس من العوائل وسوء العواقب . وأما تأثيره في الالبانيين فقد كان ظاهراً وهو الذي أزال سلطة الجمعية من الدولة . وأما تأثيره في نصارى أوربة الصبانيين من البطارين واليونانيين والصربيين فهو الذي أوقد نار هذه الحرب وكان أكبر شرها وويلها على الترك والمستركين الذين هضم الاتحاديون حقوق جميع العناصر وقصدوا اذمتها ذبحهم . وما كان أضعف من ذلك !

كان المفتونون بخداع الاتحاديين من مسلمي العرب يخطئون أهل البصرة من اخوانهم اذا طلبوا الدولة بالعناية بتعليم اللغة العربية في مدارسها ، وجعل اقتضاة والحكام في الولايات العربية من العارفين بلغة أهلها ، وما كان حجتهم إلا أن قالوا انكم اذا طلبتم هذا فتصم الباب لنصارى ، مقدونية لطلب مثله لانفسهم ، فلا ينبغي ان رضانا بهم ضم حقوقنا يكون سببا لرضاء أولئك بمثل ما نرضى به وبدونه . جاهلين أنهم لا يرضون بمثل تلك الحقوق التي يحملونها على السكوت عن طلبها ، وإن كان صلاحنا وصلاح دولتنا لا يكونان الا بها ، وانما وجهتهم انفصال ولا ياتهم من الدولة البتة ، واتصال كل شعب منها بالدولة التي هو من جنسها .

بل جهل هؤلاء المفتونون بخداع الاتحاديين انه لولا نصارى الولايات الصحافية الاوربية لما خطر في بال أحد من رجال دولتنا واخواننا الترك فكرة الحكومة الثيائية . ولا حاجة الى شرح هذه المسألة الآزوانا موضع العبارة الذي اقتضت الحال ياتاه هو ان جمعية الاتحاد والترقي جعلت الدستور وخذعة هؤلاء الناس وللدول التي تنتصر لهم . وأما مسلمو الثمانيين من العرب والارنؤط والاكراة فلا قيمة لهم عندها لانها تنقذ انما تدبر أمرهم بالقوة القاهرة . فكان غرورها هذا يبيجا هؤلاء النصارى وحاملها اياهم على الحرب الخاضرة بعد ان رأوا الجمية نقرت جميع الثمانيين من الدولة وأضعفت قوتهم بها ، وأحدثت مفاسد أخرى أضفت قوتها المادية والمعنوية . وهو ما بينا بعضه في المقالة الاولى وسنبين بقية المهم منه في المقالات الاخرى

﴿ احوال مسلمي الصين ﴾

مسلمو مدينة نانكين في الصين

نانكين مدينة من كبريات المدن الصينية المشهورة بتجارها . سكان هذه المدينة زهاء مليون نسمة والمسلمون منهم مقدار مسلمي بكين) في السكثرة . ومنهم أناس أولو ثروة طائلة وتجارة كبيرة . وهم أرقى مسلمي الصين على الاطلاق في دنياهم ، اذا أكثر الموظفين في دوائر الحكومة منهم ، وكذلك منهم أكثر المعلمين في المدارس ، وبعد المسلمون في هذه الولاية أرقى علماء وفكرأ من سائر أهلها واسكن لبعدهم عن العاصمة « مدينة بكين » التي هي مركزهم الاسلامي لا يعرفون من الاسلام غير كلمة التوحيد